

اغتيال الأكراد بين الإسلاميتين إيران وتركيا

قبل فترة قُتلت عائلة كردية سورية كانت قد لجأت إلى كردستان العراق، وعاشت بقية من قرى كسنزان التابعة لأربيل، وطريقة القتل للاب وأفراد عائلته الأربعة رميا بالحجارة. لكن لم يُثر السبب ولم يُكشف عن القاتلين. وسُجّلت القضية ضد مجهول، القصد أن الأكراد بالمنطقة، من السوريين وأكراد تركيا وأكراد إيران، وعلى وجه الخصوص الناشطين منهم، صاروا ملاحقن بالاغتيال، مع إخفاء الجريمة. في السنة الماضية جرت محاولة اغتيال استهدفت الشخصية الكردية الإيرانية الأبرز في صفوف المعارضة، رئيس حزب "حرية كردستان إيران"، حسين يزداني بنا، بإطلاق شخصين مستقلان دراجة نارية النار على سيارته وسط مدينة أربيل، مما أدى إلى إصابة سائقه وحارسه الشخصي بجروح بليغة.

وكان يعيش بأربيل كلاجئ لا كناشط مسلح. هذا وما يزال القائد الميداني للجناح العسكري في الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، صلاح رحمان، بين الحياة والموت، بعد تعرضه لتفجير بواسطة عبوة لاصقة تبنت أسفل سيارته في أربيل نهاية الشهر الماضي، وأدت إلى مقتل ولده.

لم تعط ولاية الفقيه، أو مرشد الثورة الخميني، حقا قوميا لأحد، وظل الأكراد مرصودين لسببين، الأول قومي أنهم كرد ويتحركون لحقهم القومي داخل إيران في الأقل، والثاني سبب مذهبي فهم من القوميات التي ظلت عصية على التبشيع الصوفي، فاحتفظوا بسنتهم ومذهبهم الشافعي، ويعلمون أن الأكراد بشكل عام يميلون للمذهب الشافعي على انتمائهم المذهبي.

منذ ما عمل فرنسا سنيًا لتصفية النشاطات الكردية بباريس، من قبل المخابرات التركية، كذلك طوت النمسا عملية اغتيال الشخصية الكردية المعروفة عبدالرحمن قاسمو (1989) ببغايا، هو وبعض رفاقه، وكانت إيران الإسلامية قد وافقت على المناقشات مع قاسمو، وجرى ترتيبًا لذلك، ولكن الذين حضروا من قبل دولة الولي الفقيه مجرمين قتل، فبادروا قاسمو ومن معه بالاغتيال، وكانت ألمانيا على ما يبدو وسيطة في الموضوع، ولكن العالم سكت وذهبت الجريمة، ولم يبق منها أثر إلا في نفوس الأكراد الإيرانيين.

كان قاسمو شخصية أكاديمية، وفكرية، وزعيمًا للحزب الديمقراطي الكردستاني بإيران، وكان قد حصل على دعم من حزب "تودة" الإيراني، وهو الحزب الشيوعي الإيراني، والذي هو الآخر تعرض أعضاءه للسجون والإعدامات والتخوين بالناموس.

إن الدولتين التركية والإيرانية، بما فيهما من تعصب قومي ومذهبي، عند الأخير على الرد في المناطق الشرقية من كردستان، لم تكفيها بالاختناقات والتصفيات، وإنما صارت أرض العراق مسرحًا لغزواتهما ضد الناشطين أو اللاجئ الأكراد من الدولتين، فبين تارة وأخرى تجتاح قوات الدولتين من الشمال ومن الشرق الأرض العراقية لتصفية الجماعات الكردية، وإذا كانت تركيا لديها (حق) الاجتياح في عمق عشرين كيلومترًا في الأرض العراقية، فأيران اجتياح العراق كافة، ذلك إذا علمنا أن مكتب قائد فيلق القدس مفتوح ببغداد، وأن قوات إيرانية تدخل وتخرج من دون معترض.

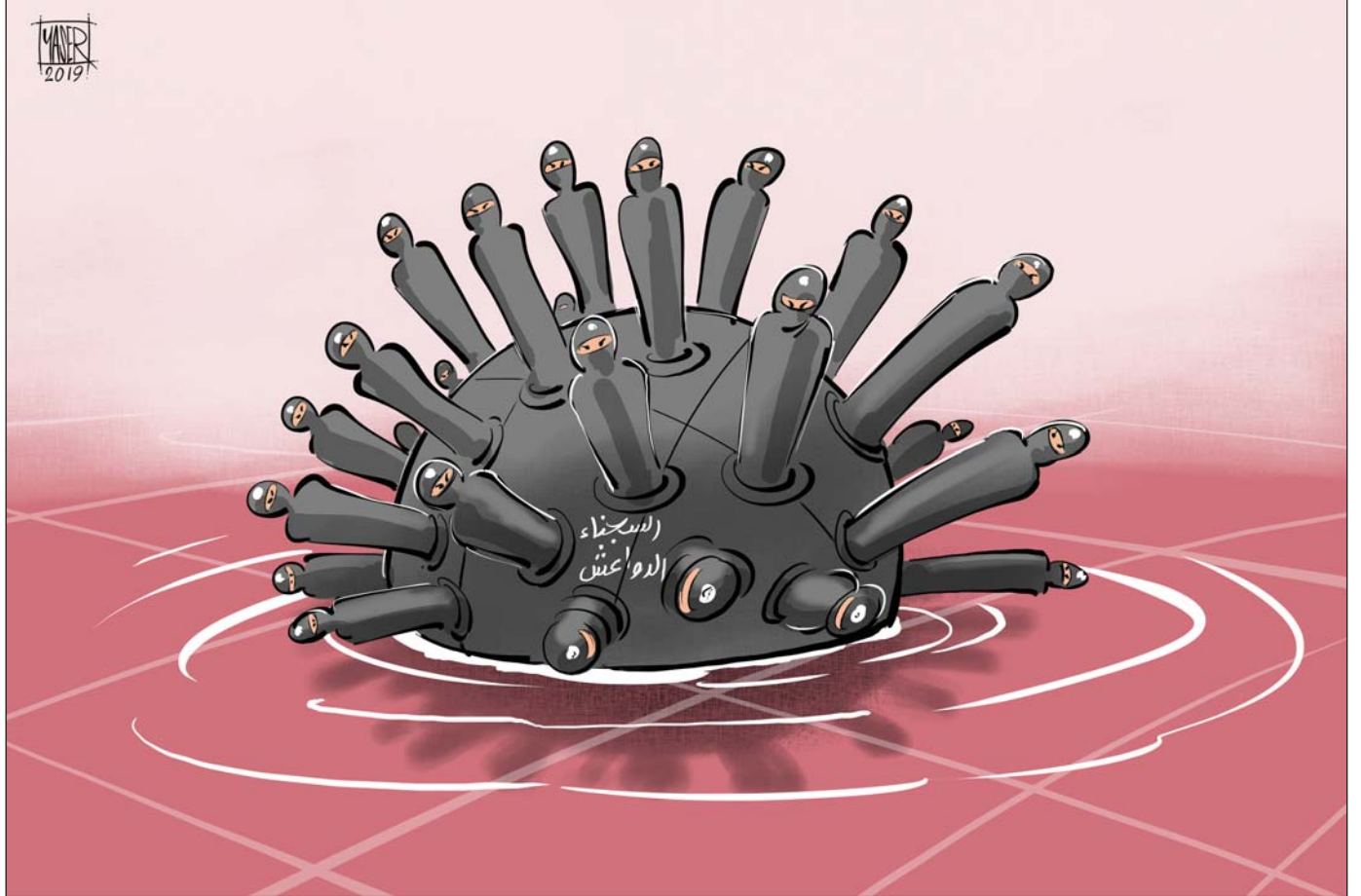
عموماً، ما تقدم جزءًا بسيطًا من محاولات الاغتيال التركية الإيرانية في النشاط الأكراد، وعملية شرق الفرات لمطاردة الأكراد على الأرض السورية اختزلت التعبير عن السياسة التركية الشيفونية، والمؤيدة من قبل إيران بطبيعة الحال، وذلك لأن العدو واحد، وهو الشعب الكردي.

زيد بن رفاعة

كان خطاب النائب الكردي فرهاد أنجو في البرلمان التركي مزئلاً، ولأنه طالب الترك أن يعودوا من حيث أتوا من منغوليا وأواسط آسيا، واحتلوا هذه الأرض، وقد قاطعه النواب الترك ورئيس البرلمان، حتى قال له "هذا كلامك تقوله وأنت تأكل الكباب، فهو دعوة للإرهاب". لكن النائب فرهاد استمر، وقال: اقتلوني! لا بد أن أقول الحقيقة، وظل مركزًا على احتلال الأتراك السكاني للمنطقة، وكانت النتيجة أن ذهبت لاعتقاله قوة عسكرية بلا أمر قضائي. ظهرت هذه المشاعر بعد الاجتياح التركي للمناطق الكردية السورية، بقوة هائلة، بحجة مكافحة الإرهاب، لكن حزب العدالة والتنمية التركي الإخواني لا يعتبر دعم داعش إرهابًا، ولا إيواء الجماعات الإسلامية بتركيا إرهابًا، حتى أصبحت تركيا دار انطلاق للإخوان وبقية الجماعات. ليس اغتيال رئيسة حزب "سوريا للمستقبل" هفرين خلف، من قبل ما يُسمّى بالجيش السوري الحر التابع للقوات التركية، ليس أول ولا آخر الاغتيالات السياسية للشخصيات الكردية.

اغتيال رئيسة حزب «سوريا للمستقبل» هفرين خلف، من قبل ما يُسمّى بالجيش السوري الحر التابع للقوات التركية، ليس أول ولا آخر الاغتيالات السياسية للشخصيات الكردية

اختطاف أول أمين عام حزب العمال الكردي منذ 1978، والشخصية الكردية المعروفة عبدالله أوجلان، عالق في أذهان الشعب الكردي، وكان تفكير السياسة التركية أن اختطافه وسجنه سينهي العمل العسكري للأكراد وحزبه، لكن على خلاف ذلك تقام الكفاح المسلح للحزب المذكور، وكانت عملية اختطافه من كينيا بعمل استخباراتي دولي، ففي فبراير 1999 كان أوجلان ضيفًا لدى السفير اليوناني، وكانت بلاد الأخير داعمًا للقضية الكردية، لما بين تركيا واليونان من علاقات متوترة، وبعد تطمين كيني على أن لا يُسلم أوجلان لتركيا، ويعد إلى مكان آخر، حذر وسلم لعصابة من المخابرات التركية جاءت لاختطافه من مطار عسكري. كذلك في العام 2013 تم اغتيال ثلاث ناشطات كرديات في حزب العمال الكردي بباريس. اغتيال بالرصاص في الرأس في مقر المعهد الكردي بباريس. فقد عثرت الشرطة الفرنسية على طلقات فارغة بالقرب من جثثهن، حسب ما أعلنه مصدر أممي فرنسي في حينه والذي أضاف بأن المعلومات الأولية تفيد بأن الناشطات قد تمت "تصفيتهن". وعلى الرغم من أن المخابرات التركية وراء عملية اغتيال النساء الثلاث، لكن لم تُكشف سر العملية، فالعلاقات الدولية تمرر تلك الجرائم وهذا ما حصل مع اختطاف أوجلان. سوريا أبعدته من لبنان، يوم كانت تسيطر عسكريًا هناك، وكينيا سلمته بطريقة دنيئة والمخابرات الإسرائيلية والأميركية تعاونتا مع المخابرات التركية في الكشف عن تحركاته، ولولا الحملة الدولية لأعدم من يوم الاختطاف، وهو مازال في السجن، بعد نقله إلى جزيرة مرمرة.



الحرب التركية مفتوحة على احتمالات غامضة

المشكلة الكردية التي يعاني كلاهما منها، والتي انهارت بالتدخل في شمال شرق الفرات. ولا ننسى أن سوريا هي الحليف الأقوى لإيران في منطقة الشرق الأوسط. نجح النظام التركي في استعداء حملة الدول التي تجاور وتحيط ببلاذ. فأنقرة تربطها علاقات باردة بدول حلف الأطلسي، رغم كونها عضوًا مؤسسًا فيه. وفشلت في الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة التي يرفض أعضاؤها انضمام أنقرة.

وتعاني أنقرة من الفقد التاريخي مع جارتها، اليونان وجمهورية قبرص، ويمكن أن تنفجر تلك العلاقات قريبًا حول اكتشافات الغاز في شرق البحر المتوسط.

تتعامل تركيا مع جزء من ليبيا وتتدخل بدعم العسكري لحكومة الوفاق المتحالفة مع الميليشيات، وتعادي مصر والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية ومعظم دول الخليج، وتبذل أنقرة عجزًا عن تحقيق علاقات متينة مع لبنان والعراق واليمن. يتوجه التوافق الدولي، بما فيه الموقف الأميركي والروسي، إلى التفكير في نقاط عدة لمواجهة الوضع العسكري والسياسي والإنساني المنفجر الناتج عن الاجتياح العسكري التركي للأراضي السورية، فيما وقف التدخل العسكري وفرض انسحاب قوات الجيش والمنظمات المتحالفة معه، من الأراضي السورية في أسرع ما يمكن، أو التركيز على حل النقاط التي تسببت في لجوء أنقرة للحرب، أو قيام الأمم المتحدة بوساطة وعقد اجتماعات مشتركة للتوصل إلى اتفاق نهائي عادل بين الطرفين التركي والكردي.

لكن لا يزال الوقت مبكرًا لتحقيق تحسن في الوضع الميداني، وسط تمسك الطرفين بمواقفهما. فالأتراك يصرون على عدم الانسحاب أو التفاوض، وبينما ويرفض الأكراد وقف القتال ويتعهدون باستمرار التصدي للقوات الغازية. وتتوالى الإدانات الدولية والدعوة لفرض عقوبات ومنع توريد السلاح والتي أصبحت تملأ الأفاق، بينما تواصل تركيا عملياتها العسكرية وينساق القتلى والجرحى من المدنيين. تشير معطيات كثيرة إلى أن تركيا قد تقع في فخ التوسع في الحرب التي لن تؤدي إلى الاستقرار بل إلى التصعيد والمزيد من الضحايا والخسائر الاقتصادية. ومهما كانت النجاحات التي قد يحققها الجيش التركي ستزيد من فرص المقاومة على العمل وتضطر المسؤولين في أنقرة إلى إرسال المزيد من الجنود والعتاد، وتوفير فرص أفضل للمقاومة.

وقد تنتقل الحرب من اجتياح مؤقت يمكن السيطرة عليه إلى حرب استنزاف طويلة مع الدولة السورية وحلفائها. ولعل تجربة الولايات المتحدة في فيتنام، والفرنسيين في الجزائر، والاتحاد السوفييتي في أفغانستان، ماثلة في الأذهان ومن الأدلة التي لا تقبل الشك.

إرهابية تفجر المدن في المناطق التابعة للمعارضة التصدي للاجتياح. وتستعمل أنقرة منظمات معارضة للنظام السوري في حربها ضد الأكراد، بينما تشارك منظمات معارضة أخرى في التصدي للقوات التركية التي دخلت الأراضي السورية. هناك تهديدات باستعمال سلاح اللاجئ المتمثل بفتح الحدود للملايين من الراغبين في العبور إلى أوروبا عبر الأراضي التركية. ويبيق السلاح الخطير هو التهديد بإطلاق سراح المعتقلين من رجال وأسر تنظيم داعش المكتسبين في السجون الكردية والعودة للعمل بكثافة في الشرق الأوسط. وقد تكون الهجمات الجوية للطيران التركي على السجون المتواجدة فيها هؤلا جزءًا من المخطط.

العامل الأسوأ في هذا الموضوع هو الحقيقة التي سوف تدرجها الأطراف المعنية من أن وضع نهاية لهذه الغامرة ربما لن تكون قريبة، ولن تكون دون دفع ثمن غال، لأن احتلال عشرات الكيلومترات من الأراضي السورية لن يوقف الوضع المتأزم الذي تعاني منه تركيا، فقريبًا ربما ينضم النظام السوري وحلفاؤه إلى المعركة، ليس لدعم الأكراد فقط لكن لتحرير الأراضي من الاحتلال التركي.

كما سيتقلص التبادل التجاري وقوافل الآلاف من السواح العرب في شوارع وساحات إسطنبول. ولن تنظر إيران الشعبية بعين القبول والرضى لأي انتصار تحققه غريماتها السنية، وهي ليست غافلة عن اهتمام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بإعادة الخلافة العثمانية، لكنها تنتظر البعد الحقيقي لمخططاته، في وقت هي مشغولة فيه بالاهتمام بتوسيع نفوذها في لبنان وسوريا واليمن والخليج. وجاءت علاقاتها الجيدة مع إيران نتيجة لجهود روسيا للتوسط في إنهاء

الدول، مثل العراق وربما سوريا، فقد فشلت المحاولات الرامية للتوصل إلى حلول مماثلة مع دول أخرى. تكمن خطورة هذه الجولة من المعارك في أنها جاءت متوافقة مع حروب محتدمة ومختلفة، داخلية وخارجية، لعدد من دول الشرق الأوسط، بينها حروب مستعرة في اليمن وليبيا وسوريا وفلسطين. وتشهد اليوم بوادر صراعات داخلية في دول عربية مجاورة أخرى ومواقف متضاربة. لكن كيف ستؤثر هذه الحرب الجديدة على الأوضاع والتحالفات المختلفة، وعلى مستقبل العلاقة المتدهورة بين الأخوين الفلسطينيين اللوديين، فتح وحماس، حيث انقسما أيضًا في موقفهما من الحدث الجاري؟ في نهاية الأسبوع الأول من

الاجتياح التركي الجديد للأراضي السورية، ليس هناك ما يمكن الاستناد عليه أو التأكد منه كموقف صارم للولايات المتحدة أو روسيا تجاه وقف الاجتياح أو فرض هدنة أو تقديم حل يوقف التصاعد المنتظر للقتل والخراب وتهجير المدنيين.

كشف الاجتياح العارم عن موافقة مسبقة للولايات المتحدة على العمل العسكري مشروطة بعدم التهجير أو التنكيل، وهو ما أشار إليه ضمناً الرئيس الأميركي دونالد ترامب بقوله "تجاوز الحدود"، وهدد أنقرة بالويل والثبور والعقوبات حال مخالفتها. وتراوحت ردود فعل دول العالم بين إدانة دولية للاجتياح، وبين تفهم للتصرف التركي، وبين مطالبات بحل النزاع عن طريق التفاوض.

أدى اختلاف المواقف إلى اختلاط الأوراق وتداخلها بشكل كبير. فهناك أطراف سورية مسلحة ومعارضة تحارب ضد التدخل التركي، ومنظمات سورية مسلحة أيضًا تحارب بجانب الجيش والقوات التركية، ومنظمات

مروان كنفاني
مستشار الرئيس الراحل
ياسر عرفات

جاءت الحرب التركية على شمال شرق سوريا كإضافة مزعجة للحروب والمواجهات المتعددة، القديمة والحديثة، التي تعصف بهذا الجزء من العالم منذ بداية القرن الماضي. وفي الوقت الذي توقع فيه البعض من السياسيين التوصل إلى حل سريع لهذه المواجهة، فإن الغالبية أصبحت تشير إلى مستقبل طويل ومفتوح على احتمالات غامضة للتخلص من تداعيات تلك الحرب. لأنها ذات تاريخ مأساوي، وحلها لن يكون بالسلاح بل بالاتفاق، ليس فقط مع الأكراد، بل أيضًا بالتعاون مع القوى الرئيسية في الإقليم.

الغالبية أصبحت تشير إلى مستقبل طويل ومفتوح على احتمالات غامضة للتخلص من تداعيات تلك الحرب، لأنها ذات تاريخ مأساوي، وحلها لن يكون بالسلاح بل بالاتفاق، ليس فقط مع الأكراد، بل أيضًا بالتعاون مع القوى الرئيسية في الإقليم

دخلت المنطقة التي يشغلها الأكراد منذ قرون عديدة مواجهات مع كافة الدول التي تتشارك معها على الجبهات الأربع، تركيا والعراق وسوريا وإيران. وبينما تم التوصل إلى اتفاق سلمي متعادل تقريبًا بين الأكراد وبعض هذه

